يوم فى بهتيم

بقلم الأستاذ محمد عبد الكريم

انطلقت السيارة من المدينة إلى ضاحية شبرا تطوى شوارعها فتكشف على جانبيها ما حل بالبلدة من تغيير وتبديل . لم تعد شبرا بلد الحدائق والحقول . لقد غزتها الصناعة بمحافلها ، واجتاحتها بمنشآتها ومعاملها ، وأقامت فيها من باسق المداخن وفسيح العنابر حصونا مدعمة الأركان متينة البنيان .

ومال رفيق يسألنى : ما أرى فى يحيط بنا؟ قلت خيرا تبين علاماته ، ونصرا تطلع أماراته . أو ليست هى الصناعة يا صاحبى أمارة النهضة ومقياس تقدم الأمة ؟ قال بلى ، ولكن ألا ترى أن إقامة البلد الصناعى يجرى العاصمة وفى طريق امتدادها عمل غير حكيم . وهو إذا لم يبن أثره الضار اليوم فسوف يتجلى هذا الضرر واضحا حين تتسع رقعة المدينة وتملأ المبانى كل ما يحيط هذه المصانع من فضاء . أما كان يفضل أن تقام مدينة الصناعة قبل الجيزة أو حول أبى زعبل حيث أعدت نواة مدينة العمال ؟

وتطرق الحديث إلى الارتجال وما له من أثر ضار بالجهود الناهضة حديثا ولم تقطعه غير صيحة السائق : لقد بلغنا بهتيم .

وانتهينا إلى مركز مؤسسة الجمعية الزراعية فى بهتيم فاستقبلنا مفتشها الدكتور عزيز فكرى بما عرف فيه من كرم ودماثة خلق ، ومضى يحدثنا عن العمل الذى جئنا فى استطلاعه ، حديثا كشف عن أهدافنا ، وأنار لنا سبيل البحث إلى حد بعيد . حتى إذا انتهى الدكتور من مستفيض بيانه انتقلنا صحبة الموظف المشرف على الناحية الاجتماعية بالتفتيش إلى حيث تبين آثار جهود الجمعية الزراعية وتتجلى خدماتها الجليلة فى سبيل الفلاح .

فى معهد الفلاحة المثالية :

تملك الجمعية الزراعية الملكية فى بهتيم زهاء خمسمائة فدان جعلت منها أنموذجا يحتذى فى كل ما يهم الفلاح : زراعته و بيئته ومسكنه .

أما الزراعة فعناية الجمعية بها تقوم على تلك التجارب التى دأبت منذ عهد طويل على القيام بها ، فهناك تجارب القطن التى وفقت الجمعية بفضلها إلى إيجاد أنواع جديدة ممتازة كان لها أثر كبير فى تحسين قيمة هذا المحصول الحيوى للبلاد ، وهناك تجارب للقمح وتجارب لأثر التسميد بعضها يعمل بانتظام منذ خمس وثلاثين سنة .

وفى جوار حقول الزراعة يرى الزائر مناحل للشهد على أحدث تصميم وحظائر لتربية الأبقار والعجول والخير تباع كلها للراغبين فى إنتاج أنواع ممتازة، وفى حظيرة أخرى شاهدنا تلك الخيل التى يرى فيها العارفون أندر مجموعة عالمية من الجياد العربية الأصيلة . وحسبنا أن نعلم أن بعضها يحدر من سلالة الجياد التى استوردها محمد على باشا الكبير من بلاد الحجاز إبان حكمه لها . ثم طلعنا على فناء الدواجن حيث تقوم الجمعية بتفريخ وتهجين أنواع مختلفة من الدجاج والأرانب الأجنبية والمصرية .

وإن من خير ما تبذله الجمعية الزراعية من خدمات للزراعة وللمشتغلين بها عنايتها بالمسائل الحيوية التى يتوقف عليها نجاح الزراعة، فقد شاهدنا نماذج طبيعية للمصارف المكشوفة والمغطاة وهى نماذج تبين لأصحاب المزارع فضل المصارف المغطاة وأثرها فى تحقيق أغراضها فضلا عن أنها تمكن الزارع من الانتفاع بأرضه كاملة . كذلك وقفنا على تلك التجارب الكبيرة الأثر التى تقوم بها الجمعية لمقاومة يرقات الملاريا فى زراعة الأرز بتجفيف الزرع مددا تقتل فيها هذه اليرقات دون إماتة النبات .

ومما يستلفت النظار ويستوجب الثناء على القائمين بأمر بهتيم أن التفتيش رغم انصرافه إلى غايته السامية فى إيجاد وسط مثالى للحياة الزراعية السليمة دون اهتمام بالمكسب المادى فأراضيه لازالت تحقق ربحا محسوسا، وأكبر الظن أن هذا راجع الى ما تتزه الزراعة المعنى بها من محصول وافر يعوض نفقات التجارب، ثم الى ما تستنه الجمعية من حرص على الانتفاع بما لديها من مواد قل أن يعنى بها غيرها، فهى تجهز من مخلفات حظائرها سمادا عضويا ومن قش الأرز بضاعة انفردت باستغلالها، فقد شاهدنا جهازا كهربائيا وعمالا يعملون فى تقطيع سيقان النبات وإعداده كمصاصات للشراب تباع للشارب العامة، وهى تعد مشروعا للصناعات الزراعية لم يحل دون تنفيذه إلا قيام الحرب الحاضرة .

فى العزب النموذجية :

على أن أهم ما يستوجب عناية المشتغلين بالشؤون الاجتماعية هو ذلك العمل العظيم الذى نهضت الجمعية الزراعية بإعداده وتنفيذه فى عزم وشجاعة .

فقد قامت ببناء عزبتين نموذجيتين أصبحتا اليوم قبلة رواد الإصلاح، وكعبة قصاد المعنيين بالفلاح وصحته، الراغبين فى النهوض بمسكنه وقريته . وحسبنا أن ننتقل بالقارئ إلى حيث تقوم العزبتان لنطلعه ما يقوم عليه هذا العمل ومكانه فى نظر رجل الإصلاح الاجتماعى .

ففى العزبة الأولى المعروفة بالعزبة الحمراء يرى المشاهد بضع عشرات من البيوت مشيدة بالآجر الأحمر فى خمسة صفوف بكل صف منها وحدتان يفصلهما طريق عرضه ستة أمتار ، وقد جعلت هذه البيوت مختلفة السعة فبينما عشرون منزلا مساحة الواحد ثمانون مترا و يتكون من غرفتين وفناء وحظيرة للواشى ومرحاض بنى على أصول صحية روعيت فيها حالة البيئة ، ومنها عشرة منازل اخرى أكبر سعة من الأولى إذ تحتوى على ثلاث غرف وردهة غير المرافق وقد خصصت هذه للعائلات الكبيرة التى تقوم على زوجين ذوى حرم كأب وابنه وسقوف هذه البيوت من الأسمنت المسلح وأرضيتها مغطاة حجراتها بطبقة مصقولة من الأسمنت ، وهى ترتفع عن مستوى الأرض بمقدار ثلاثين سنتيمترا وقد راعت الجمعية فى إنشاء هذه البيوت تجنيب الفلاح كل ما يضر حياته وصحته إذ أنها :

(أولا) أفردت مكانا ذا باب مستقل للماشية .

(ثانيا) لم تبن مواقد بها للدفئة أو غيرها اكتفاء بما روعى من إحكام نوافذها .

(ثالثا) خصصت للمخلفات من روث ووقود مكانا مستقلا بعيدا عن المساكن .

(رابعا) يسرت سبيل النظافة للأهلين إذ أعدت لهم ستة حمامات مزودة بالصنابير وناثرات الماء وجهزتها بما يمكنهم من غسل ثيابهم .

ولم تقصر الجمعية الزراعية عملها فى بهتيم على إعداد المسكن الصحى فحسب ، بل شاءت أن تضرب لبراة الأمة مثلا كاملا إذ شملت فلاحيها بالرعاية تامة فى كل ما ينهض بأمرهم . فهناك وحدة صحية أنفقت الجمعية فى إنشائها بضعة ألوف من الجنيهات تضم عيادة خارجية ودارا لرعاية الأمومة ، وقد جهزت بما يكفل العناية بصحة عشرة آلاف من سكان بهتيم ومسترد وما حولها ، والجمعية تعد العدة لتسليمها لوزارة الصحة وافتتاحها للعمل . وهناك مدرسة إلزامية أقامتها الجمعية وتولت الإنفاق عليها ومسجد جميل مكتمل المرافق ، كذلك أقامت الجمعية فى قلب العزبة وفى ميدانها الرئيسى مضيفة لفلاحيها جهزتها بالأرائك وقد جعل الفلاحون منها ندوة لسمرهم ومكانا يقيمون فيه معالم أفراحهم و يستقبلون المعزين فى أتراحهم ، كما شاهدنا محلين للبقالة هما من عمل الجمعية التعاونية التى اكتتب الفلاحون برأس مالها .

فى العزبة الخضراء :

وانتقلنا الى العزبة الخضراء حيث أقامت الجمعية مجموعة أخرى من المساكن روعى فى إنشائها الاقتصاد فى النفقات ليكون فى مقدور الفلاح بناء مثلها ، فبينما يتكلف البيت الواحد فى العزبة الحمراء ما بين ١٢٥ و ١٩٥ جنيها ، تكلف البيت فى العزبة الخضراء خمسة وعشرين جنيها .

وتتألف مبانى هذه العزبة من اثنين وعشرين بيتا بنيت فى خمسة نماذج مختلفة ليختار من يشاء من أصحاب الضياع الأنموذج الذى يوافقه ويناسب حالة فلاحيه .

وقد روعى فى بناء العزبة الخضراء من شروط الصحة ما روعى فى نظيرتها الحمراء من فسحة الطرقات ستة أمتار، وهى مسافة تسمح للشمس والهواء أن يملآ كل جوانب البيوت. وقد بنيت هذه البيوت فى ثلاث مساحات ، الأولى تقوم على ١٢٥ مترا والثانية ١١٢ مترا والثالثة ٧٥ مترا ويتألف كل منزل من غرفتين وموقدين (فرنين) واحد للتدفئة والآخر لصنع الخبز .

وقد استلفت نظرنا فيما شاهدنا فى هذه البيوت ذلك الطراز المبتكر الذى وضع تصميمه الأستاذ حسن فتحى وقد بنيت سقوفه على شكل قباب وفى هذا مزايا عديدة سنبينها عند العرض لأمر مسكن الفلاح النموذجى فيما بعد .

فى بيت فلاح :

وتجاور العزبة الخضراء عزبة بهتيم القديمة ، ومع احتفاظ العزبة القديمة بمبانيها فقد أثرت عناية الجمعية فى حالتها تأثيرا ملموسا ، انتقلنا اليها وطرق رائدنا باب أحد المنازل فتكشف عن فناء وحجرات أدهشتنا نظافتها وهى على بساطة ما فيها تكاد تنطق بحسن ذوق صاحبتها وموفور عنايتها ببيتها ، هذا حصير تكاد تحسبه جديدا لفرط نظافته ، وفوق الموقد فرش مرتب ولحاف كسى ملاءة ناصعة البياض لنظافتها ، وعلى النافذة المطلة على الحقل ترى قللا غسلت وملئت وغطيت بأغطية نحاسية لامعة تغريك بالشرب منها .

وليس أدل على روح النظام والترتيب التى تملكت صاحبة هذا البيت من أنها أعدت من الحطب والطين أدوات ومعدات تحكى ما بيوت أهل المدن ، هذا مشجب من الحطب المكسو بالطين ثبت فى الحائط وتلك حلقات عملت فى نتوء الحائط تحمل ملاعق خشبية ساذجة .

وحانت منا التفاتة إلى الحائط فإذا بلوحة حمراء مكتوبة بخط جميل تحمل شهادة من الجمعية لأمينة النجدى صاحبة هذا البيت بأنها أنظف فلاحة فى العزبة وانها لهذا منحت الجائزة الأولى وتركت ورفاق البيت معجبين بما شاهدنا من أثر التشجيع فى إعداد البيت النظيف غابطين زوج هذه الأمينة التى أحالت له من هذا الطين المعتم جنة بهيجة وهيأت فيه حياة ناعمة سعيدة ، وكم تمنيت لو صحب رجالنا سيداتهم إلى بهتيم ليروهن ما شاهدنا ويعلموهن أن جمال البيت ليس فى زخرفه وبنائه ولا فى أثاثه ورياشه وإنما هى العناية تبذلها الزوجة فتضفى بها على البيت جمالا ورواء .

العمل الاجتماعى المثالى :

جاوزنا فيما تقدم بعض آثار جهود الجمعية الزراعية الملكية فى خدمة الزراعة والمشتغلين بها، ورأينا كيف جعلت من تفتيشها بقرية بهتيم متحفا يقصده محبو الإصلاح من مصريين وأجانب ، وأنموذجا يهوى اليه كل مالك راغب فى النهوض بأمر زراعته وفلاحيه . وليس فى المستطاع بحال حصر ما أنفقته الجمعية فى خلال الخمس والأربعين سنة التى عمرتها من مال بذل فى ترقية الزراعة والزراع، ولا عرض ما بلغه هذا العمل فى تحقيق الغاية التى يهدف اليها، فتلك التجارب الدائمة والتضحيات المستمرة التى تعالج بها الجمعية أمر الزراعة من عمل على تحسين سبل رى الأرض وصرفها ، وسعى دائب لاستنباط البذور المفضلة لتنمية محصولى البلد الرئيسيين : القطن والقمح ، وجهد لا ينقطع فى اقتناء الجياد الأصيلة ، والماشية المدرة، والدواجن الممتازة ، وتربيتها والإكثار من سلالاتها — كل أولئك جهود تبين آثارها واضحة جلية فى طول البلاد وعرضها ، لهذا نرى أن نقصر حديثنا على العمل الاجتماعى البحت مما له اتصال مباشر بعيش الفلاح فنقول إن الجمعية قد أتمت عملا نموذجيا عظيما وحسبنا فيما بذلت أنها :

أولا — أنفقت ما يقرب من العشرين ألف جنيه فى بناء عزبتيها النموذجيتين وما يتصل بهما من مرافق صحية واجتماعية ودينية وثقافية .

ثانيا — رسمت لأصحاب الأملاك منهاجا عمليا فيما ينبغى أن يقوم به المالك نحو فلاحيه من سهر على راحتهم وعناية بثقافة أبنائهم ، وبث لروح التعاون بينهم ، هذا الى ما تسديه اليهم من معونة تطلعنا على مبلغ حدبها على هؤلاء واهتمامها بأمرهم ومن هذا :

١ — انها راعت لأول مرة بين الزراع نظم الأجازات المرضية والمكافآت اسوة بما هو مقرر للصناع .

٢ — عملت على مشاركة الفلاحين أفراحهم وأتراحهم ، اذ تمنحهم فى الزواج الأول مكافأة شهر إضافى من رواتبهم وتمدهم بإعانات مالية اذا ما قضى أحد ذويهم كما تقوم بتوزيع الكسى واللحوم عليهم فى الاعياد .

٣ — سهرت على نظافة عزبها ونظمت مسابقات دورية تمنح فيها البيوت الفائزة فى كل عزبة جائزة كانت من قبل من الماشية وأصبحت اليوم بسبب غلاء الماشية من الحبوب ، وقد لمسنا أثر التشجيع فى هذا جليا واضحا .

٤ — رعت الأرامل من نساء عزبها بايجاد عمل لهن وهو مراقبة نظافة الطرقات وهكذا هيأت لهن كسبا شريفا أغناهن عن مذلة السؤال .

ثالثا — عمدت الجمعية الى ايجاد تقليد حميد شبيه بما يجرى فى أوروبا من الاحتفال بمواسم الزراعة فأوجدت أعيادا للحصاد : عيد لحصاد القمح وآخر لجنى القطن وهى تنظم فى هذه الأعياد مهرجانات ومسابقات فى الجنى والحصاد بين سكان عزبها الثلاث .

مشكلة مسكن الفلاح فى ضوء تجربة بهتيم :

تقوم عزبتا بهتيم الجديدتان على نوعين من البيوت : حمراء وخضراء . وقد تكلف البيت الواحد فى العزبة الحمراء مبلغا يتراوح بين ١٢٥ و ١٩٥ جنيها مصريا ، وطبعى أن مبلغا كهذا ينفق فى بناء بيت من غير ثمن الأرض و بغير ما انفق على مرافق العزبة ، مبلغا كهذا لا يمكن أن يكون مثاليا فى إنشاء مسكن الفلاح . ومهما بالغنا فى التفاؤل فيما نكون عليه فى غدنا فقيامنا بمثل هذا العمل أمر بعيد عن كل تصور . لقد أنفقت الجمعية الزراعية فى بناء عزبتها الحمراء الصغيرة ١٠,٣٥٨ جنيها ، ونحن مع اعجابنا بالغاية السامية التى حملت رجالها الأجلاء على التضحية بهذا المبلغ نرى انه كان من الأفضل ان يكتفى باقامة بيتين أو ثلاثة ما دام الغرض مثاليا ، وأن يستفاد بهذا المبلغ الكبير فى إقامة مشروع نافع كمشروع الصناعات الزراعية ليجعل من بهتيم أنموذجا فى الانتاج الصناعى الذى نطمح فى توجيه أنظار شبابنا اليه وخاصة أن هذه القرية قد أحيطت بالمصانع التى تدنو منها يوما بعد يوم وان مستقبل البلد كله رهين تقدم الصناعة .

على أن تجربة إقامة العزبة الحمراء قد اكسبتنا فائدة تذكر اذ وقفنا بها على استحالة القيام بعمل مماثل لما قامت به الجمعية وعلمتنا أن الطفرة بالفلاح أمر عسير المنال .

أما العزبة الخضراء فليس ثمة شك فى أنها خير ما يحتذى فى إنشاء القرية الجديدة فيما يتعلق بطراز مبانيها ، وعندنا أن أفضل أنموذج يصلح لفلاحينا هو ذلك الطراز الذى وضع تصميمه الاستاذ حسن فتحى ولنا فى ذلك ثلاثة أسباب :

الأول — انه لا يتكلف اكثر من خمسة وعشرين جنيها ، وذلك راجع الى عدم استعمال الخشب فى بناء سقوفه .

الثانى — انه معد بطريقة أحكم وضعها اذ كفلت فيه كل أسباب الصحة فضلا عن احتوائه على حظيرة ذات باب مستقل لماشية الفلاح التى ثبت استحالة قبوله امكانها خارج بيته ، وقد كفل هذا الطراز تلافى الضرر الصحى الذى ينتج عادة من وجود الماشية بالبيت .

الثالث — أن انحدار أقبية السقوف يفيد فى تجنب تسرب المطر وفى زيادة سعة فراغ الحجرة فلا يسهل فساد الهواء كما انه يضع الفلاح امام استحالة مادية تمنعه من تكويم وقوده وحطبه مما يسبب الحرائق الكثيرة فى الريف .

هـذا مانراه فى المسكن ذاته ، أما تخطيط العزبة الخضراء فهو كما نراه ساذج لاجمال ولا جديد فيه غير ماروعى من سعة الطرقات وقيـام البيوت فى وحدات تسمح بتسرب الأشعة وتخلل الهواء فى الحجرات ، وعندنا أن العزبة أو القرية المنشودة ينبغى أن تتوافر فيهـا شروط ثلاثة :

(الأول) تنسيق التخطيط بما يسهل على الأهلين اجتماعهم واتصالهم ، وقضاء حاجاتهم بأن تتلاقى طرقات القرية فى ميدان رئيسى (كما هو الحال فى القرية الحمراء) وأن تشرف على هذا الميدان كل المرافق الحيوية للعزبة كالحوانيت والمضيفة والمسجد والمدرسة ؛ أما الوحدة الصحية فيفضل أن تقام فى ظاهر القرية بعيدة عن مركز النشاط والحركة فيها .

(الثانى) ان تشيد البيوت بأقل تكاليف ممكنة مع مراعاة شروط الصحة والتنـاسب مع حالة البيئة ومقتضيات المناخ كما شاهدنا فى عزبة بهتيم الخضراء .

(الثالث) أن يسهر القائمون بالأمر على نظافة القرية وعلى حفظ بيوتها بالنظام والوضع الذى شيدت به ، فليس يجدى أن تنشئ القرى النموذجية كما فعلت الحكومة فى ميت فارس وسمخراط ثم تترك هذه البيوت المنظمة والتى انفق فى بنائهـا المـال الوفير — تترك للفلاحين دون رقابة فيتلفون باهمالهم ما أعد لراحتهم يبنون بهـا الأفران ويكومون الوقود على أسطحها إنما يفيد العمل إذا سهر المشرفون على رعايته بالوضع الذى ينشدون وهو ماضربت لنا الجمعية الزراعية فيه مثلا باهرا ناطقا .

فإذا أضفنا إلى ماتقدم ماينبغى الاقتداء به فى عمل الجمعية الزراعية وخدماتها التى تبذل لفلاحيها ، إذا راعى أصحاب العزب والمجالس المشرفة على القرى كل ما أسلفنا أمكننا أن ننهض بالقرية وأن نحقق لفلاحينا حياة ترفع من شأنهم ، وترقى حالهم وفى هذا تقدم البلد ورقى الأمة جمعاء .

محمد عبد الكريم